وكان رضي الله عنه يقول ان الفقيه اذا لم يكن له معرفة بمصطلح الفاظ
القوم فهو جاف كالخبز الجاف من غير ادم فلما وقعت فتنة برهان
الدين البقاعي في شان سيدي عمر بن الفارض رسل السلطان الي العلما
فكتبوا بحسب ما ظهر وامتنع الشيخ زكريا من الكتابة ثم اجتمع بالشيخ محمد
الاصطنبولي فقال له اكتب وانصر القوم وبين في الجواب انه
لا يجوز لمن لم يعرف مصطلح القوم ذوقا ان يتكلم في حقهم بشي لان
دايرة الولاية تبتدي من ورا طور العقول لبنايها علي الكشف
الصحيح وكان يلقن الذكر ويلبس الخرقة وكان رضي الله عنه من
اهل الهمم العالية ورايته بعد بلوغ عمره اكثر من مايه سنة يصلي النوافل
حين موطنه قايما فيصير يميل يمينا وشمالا لا يتمالك من غير ميل فقلت
له يوما مثلكم لا يكلفه الله تعالي الصلاة قايما فقال يا ولدي النفس
من شانها الكسل واخاف ان تغلبني واختم عمري بذلك وكان رضي الله
عنه اذا طول عليه احد في الكلام يقول له عجل فقد ضيعت علينا الزمان
ومكثت اتغذي انا واياه مدة عشر سنين فما كان يزيد علي ثلث رغيف
من خبز خانقاة سعيد السعدا وكان رضي الله عنه يقول انما خصصتها
بالاكل دون غيرها لان صاحبها كان رجلا صالحا وذكر انه عمرها باشارة
النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا حضر عنده اكابر العلما يخفون في
نوره حتي كانهم بين يديه اطفال وكانت هيبته فوق هيبة السلطان
وقد جالست السلطان الغوري والسلطان طومان باي بعد الغوري
فكانت هيبة الشيخ ترجح علي هيبتهما وكان رضي الله عنه كثير الكشف
لا يكاد يخطر في قلبي شي بين يديه الا قال لي قل ما في نفسك وكنت
اذا حصل عندي صداع في راسي دلكته وانا طالع له يقول لي
انو الاستشفا بالعلم يذهب فاذا نويت ذلك يذهب ببركة اشارته

لابركة

لابركة اخلاصي وهذا دليل علي اخلاص الشيخ في العلم فان الانسان لا ينوي
الشفا بعمل لا اخلاص فيه بدليل الثلاثة الذين سعوا الله بخالص
اعمالهم لما انحدرت عليهم الصخرة فسدت عليهم فم الغار واخبرني
بانه من حين كان شابا وهو يحب طريق الصوفية ويحضر مجالس ذكرهم
حتي كان الاقران يقولون زكريا لا يجي منه شي في طريق الفقها لكوني
كنت مكبا علي مطالعة رسايل القوم مواظبا علي مجالس الذكر حيث كان
يذهب غالب الوقت في ذلك واخبرني انه سافر من مصر الي سيدي
محمد الغمري في المحلة الكبري وتلقن عليه واقام عنده اربعين يوما
ثم قرا عليه كتاب قواعد الصوفية له كاملا ثم رجع الي مصر واخبرني
رضي الله عنه انه دخل مرة علي سيدي محمد الغمري الخلوة علي غفلة فراي
له سبع عيون قال فلما بهت منه قال لي يا زكريا ان الرجل اذا كمل
صار له عيون بعدد اقاليم الدنيا قال ودخلت عليه مرة اخري فرايته
متربعا في الهوي قريبا من سقف الخلوة قال ولما اشتغلت بالعلم وبرعت
فيه بحمد الله شرحت البهجة فلما اتممت شرحها غار بعض الاقران فكتب
علي بعض نسخ الشرح كتاب الاعمي والبصير تعريضا باني لا اقدر اشرح
البهجة وحدي وانما ساعدني فيه رفيقي الاعمي كنت اطالع انا واياه فاحتسبت
بالله ولم التفت الي مثل ذلك اقتدا بامامي الشافعي رضي الله عنه في قوله
احب ان يقرا الناس هذه العلوم ولا ينسب الي منها شي قال وكان
تاليفي لشرح البهجة في يوم الاثنين والخميس لكونهما ترفع فيهما الاعمال
كما ورد في الحديث وكان تاليفي له فوق سطح جامع الازهر قال رضي الله
عنه وكان وقتي رايقا من الكدورات النفسانية لقلة علايقي في الدنيا
وكان ظاهري بحمد الله محفوظا من الاعمال الردية وكنت قليل اللهو واللعب
قليل الذهاب الي مواضع النزهات وما سكنت قط بيتا علي بحر ولا خليج

Copyright © King Saud University